ساحل اسفي محمولا في ذلك على صحابة الموحدين الوزير مسعود بن ماساي لهواي فيه فلما
رجع مسعود المشير عزمي في ذلك وصحبنا ونزمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف ليتخذه
وسيلة الى السلطان ابي العباس صاحب فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان
فصحبناه الى فاس واستاذنته في شاني فاذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان
وسليمان بن داود واعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى لما رحل السلطان ابو حمو من تلمسان
رجع عنه من بلاد زغبة الى السلطان عبد العزيز فاستقر في خدمته وبعده في خدمة
ابنه محمد السعيد المنصوب مكانه ولما استولى السلطان ابو العباس على
البلد الجديد استاذن الاخ في اللحاق بتلمسان فاذن له وقدم على السلطان ابي
حمو فاعاده الى كتابة سره كما كان اول مرة واذن لي انا بعده فانطلقت الى الاندلس
بقصد القرار والدعة الى ان كان ما نذكره

الاجازة ثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق باحياء العرب والمقامة عند اولاد عريف

ولما كان ما قصصته من تنكر السلطان ابي العباس
صاحب فاس والذهاب مع الامير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى ونزمار
ابن عريف طلبا للوسيلة في انصرافي الى الاندلس بقصد القرار والانقباض والعكوف
على قراءة العلم فتم ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع واجزت الى الاندلس في ربيع
سنة ست وسبعين ولقيني السلطان بالبر والكرامة وحسن النزل على عادته وكنت لقيت
بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن الخطيب الفقيه ابو عبد الله بن زمرك
ذاهبا الى فاس في غرض التهنئة واجاز الى سبتة في اسطوله واوصيته باجازة
اهلي وولدي الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع اهل الدولة في اجازتهم تنكروا
لذلك وساءهم استقراري بالاندلس واتهموا اني زينت لسلطان ابن الاحمر على الميل
الى الامير عبد الرحمن الذي اتهموني بملابسته ومنعوا اهلي من اللحاق بي وخاطبوا
السلطان ابن الاحمر في ان يرجعني اليهم فابى من ذلك فطلبوا منه ان يجيزني الى عدوة
تلمسان وكان مسعود بن ماساي قد اذنوا له في اللحاق بالاندلس فحملوه مشافهة السلطان
بذلك وابدوا له اني كنت ساعيا في خلاص ابن الاحمر ابن الخطيب وكانوا قد اعتقلوه لاول
استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث الى ابن الخطيب من محبسه مستصرخا بي ومتوسلا
فخاطبت في شانه اهل الدولة وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماساي فلم تنجح تلك السعاية
وقتل ابن الخطيب بمحبسه فلما قدم ابن ماساي على السلطان ابن الاحمر وقد اغروه بي فانتزع الى
السلطان بما كان مني في شان ابن الخطيب فاستوحش لذلك واسعفهم باجازتي الى العدوة
ونزلت بهنين والجو بيني وبين السلطان ابي حمو مظلم بما كان مني في اجلاب العرب عليه بالزاب
كما مر فاوعز بمقامي بهنين ثم وفد عليه محمد بن عريف فعذله في شاني فبعث عني الى تلمسان
واستقررت بها بالعباد ولحق بي اهلي وولدي من فاس واقاموا معي وذلك في عيد الفطر
سنة ست وسبعين واخذت في بث العلم وعرض للسلطان ابي حمو اثناء ذلك راي في الدواودة وحاجته
الى استئلافهم فاستدعاني وكلفني السفارة اليهم في هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته
على نفسي لما اثرته من التخلي والانقطاع واجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان

حتى انتهيت

حتى انتهيت الى البطحا فعدلت ذات اليمين الى منداس ولحقت باحياء اولاد عريف قبلة جبل
كزول فتلقوني بالتحفي والكرامة واقمت بينهم اياما حتى بعثوا عن اهلي وولدي من
تلمسان واحسنوا العذر الى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته وانزلوني باهلي في قلعة
ابن سلامة من بلاد بني توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان فاقمت بها اربعة اعوام
متخليا عن الشواغل كلها وشرعت في تاليف هذا الكتاب وانا مقيم بها واكملت المقدمة
منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب الكلام
والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتالفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة
الى تونس كما نذكره

الفيئة الى السلطان ابي العباس بتونس والمقام بها

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة من احياء اولاد عريف وسكنت منها بقصر ابي
بكر بن عريف الذي اختطه بها وكان من احفل المساكن واوثقها ثم طال مقامي هنالك
وانا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تاليف هذا الكتاب وقد فرغت من
مقدمته الى اخبار العرب والبربر وزناتة وتشوفت الى مطالعة الكتب والدواوين التي لا
توجد الا في الامصار بعد ان امليت الكثير من حفظي واردت التنقيح والتصحيح ثم طرقني
مرض اوفى بي على الثنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندي ميل الى مراجعة السلطان
ابي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار آبائي ومساكنهم وآثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب
السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده بالامان
والاستحثاث للقدوم فكان الخفوق للرحلة فظعنت عن اولاد عريف مع عرب الاخضر من
بادية رياح كانوا هنالك يمتارون الميرة بمنداس وارتحلنا في رجب سنة ثمانين
وسلكنا القفر الى الدوسن من اطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن
علي ووجدتهم بفرفار الضيعة التي اختطها بالزاب فرحلتهم معي الى ان نزلنا عليه بضاحية
قسنطينة ومعه صاحبها الامير ابراهيم بن السلطان ابي العباس بمخيمه وفي عسكره
فحضرته عنده وقسم لي من بره وكرامته فوق الرضى واذن لي في الدخول الى قسنطينة
واقامة اهلي في كفالة احسانه بينما اصل الى حضرة ابيه وبعث يعقوب بن علي معي ابن
اخيه ابي دينار في جماعة من قومهم وسرنا الى السلطان ابي العباس وهو يومئذ قد خرج
من تونس في العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسي الفتنة التي كانوا
عليها فوافيته بظاهر سوسة فحيا وفادي وبر مقدمي وبالغ في تانيسي وشاورني
في مهمات اموره ثم ردني الى تونس واوعز الى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل والكفاية
من الجراية والعلوفة وجزيل الاحسان فرجعت الى تونس في شعبان من السنة واويت
الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته وبعثت عن الاهل والولد وجمعت شملهم
في مرعى تلك النعمة والقيت عصا التسيار وطالت غيبة السلطان الى ان افتتح امصار الجريد
وذهب فلهم في النواحي ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ببسكرة ونزل على صهره ابن مزني وقسم السلطان
بلاد الجريد بين ولده فانزل ابنه محمد المنتصر بتوزر وجعل نفطة ونفزاوة من اعماله وانزل ابنه
ابا بكر بقفصة وعاد الى تونس منظفرا هذا فاقبل علي واستدناني في مجالسته والنجي في خلوته فغص
بطانته بذلك وافاضوا في السعايات عند السلطان فلم تنجح وكانوا يحلمون على امام